العاقلة اصغر من اعضاء القوى العاقلة فيهم واعضاء القوى الحيوانية اكبر مما هي فيهم كل ذلك وهو من اشهر علماء الرياضيات ونصراء الآداب والفضائل

هذه اشهر الادلة على فساد علم الفرينولوجيا وفي كافية لدحض مقدماته ونتائجه . ولكن الذي يرى لزاماً لرجل من علماء الفرينولوجيا يجد انهُ يصف لهُ قواهُ العقلية والادبية وصفاً قريباً من الحقيقة حتى يخرج من لدنهُ متمتعاً بصحة كل ما اخبرهُ به وبصحة علم الفرينولوجيا كلهِ . فكيف ينطبق هذا على ما اوردناهُ من فساده والجواب على ذلك ان الفرينولوجي المصيب في احكامه هو الماهر في فن القراءة الذي يستطيع ان يستدل على اطوار الانسان العقلية والادبية من هيئة وجهه (لا رأسه) وحركاته وسكناته وكلامه ولبسه . والذين يدرسون احوال البشر جيداً لا يخفى عليهم ذلك وهذا يدعونا الى البحث في علم الفزيوغنومبا اي علم القراءة الحديث الآتي شرحهُ في جزء آخر ان شاء الله

فتاوي الحكماء في الخلود والفناء

للباحث ابن المصر بجاسه ابي الهول واهرام مصر

مسلمات وتقرير احكام

قال الباحث ولما جدَّد الشيخ قواهُ الخائرة وشدَّ عزائمهُ الفاترة عاد الى مثواهُ وفتح فاهُ مستهلاً معناهُ فقال لقد ثبت لك مما اوردتهُ سهلاً عن اعتقاد الشعوب في المعاد والخلود انهُ لم تكن امة متمدنة الاَّ وكان الشوق للخلود راسخاً في نفوس افرادها رسوخاً شديداً وحبها الى المواطن الباقية حباً اكيداً . واظنك لا تنكر — بل لا اظنُّ عاقلاً ينكر — ان هذا الشوق الى الخلود والاعتقاد بمعاد وثواب وعقاب بعد الموت اقوى حاثٍّ على عمل الصلاح والفضيلة واعظم رادع عن الطالح والرذيلة . وليس بين تعاليم البشر في هذا الشأن انفع من هذا التعليم لترقية آداب الانسان واصلاح حال العمران . فاذا لم يقم البرهان القاطع على فساده وصحة غيره من التعاليم كان التابعون لهُ العاملون بمقتضاهُ ابداً كثاراً في الارض . ولما كان تأثيرهُ فيهم احسن من تأثير غيره في غيرهم فهم يفوزون بالغلبة على سواهم مع تمادي الايام . لانهُ لما كانت غايتهُ تحسين سيرتهم وسريرتهم وجعلهم انسب من سواهم لترقي الاجتماع الانساني في الكمال وصلاح الحال كان من الواجب بحسب ناموس الانتخاب الطبيعي[1] انهم يتكاثرون وغيرهم يقلُّ على توالي الزمان حتى

(١) ناموس الانتخاب الطبيعي هو ناموس الترقي في راي دارون مكتشفهِ ويراد بهِ ان ما كان اصلح من غيره

لا يبقى سواهم من البشر. وبالتالي يجب ان يعمّ الاعتقاد بالمعاد والخلود الناس كلهم

هذا وان كثيرين من الذين يوافقون على ان الاعتقاد بالمعاد والخلود يؤول الى نفع الانسان وترقية الحضارة والعمران يكررون صحته ويزعمون انه كاذب في ذاته مبنيٌّ على الخرافات والاوهام فانكارهم هذا يقتضي ان يكون هذا التعليم الكاذب المبني على الاوهام انفع من نقيضه الصادق المبني على الحقائق بل ان منهم من يقرّ انه هو النافع وسواهُ الضارُّ ومقتضى هذا الاقرار مع ما تقدم من الانكار هو ان الحقّ ينتج الضرر والبطل ينتج النفع والرقيّ في الكمال. ولا يخفى عليك ما في ذلك من الاعتساف والمخالفة لما يقتضيه العقل وتؤيدهُ المشاهدة. واقلّ ما يستدلُّ منه ان الاعتقاد بالخلود ما دام ينتج تلك النتائج الحميدة وخلافه ينتج عكسها فلا جَرَم انه حقٌّ مبنيٌّ على الحق وان الخلود لا يصحّ ان يبتني بمجرّد استقراض تعليل زيد وعمرو له وانما يصحّ استنادهُ اذا أقيم البرهان القاطع على نفيه وعلى بطلانه

على اني لا اكتفي بهذا الدليل بل اقصد ان اضيف اليه ما عندي لترى ايّ الفريقين اقوى حجةً واصحّ دعوى. ولما كان الاخذ باطراف هذا البحث كلها يطول معنا كثيرًا فاني اصدّر الكلام بمسلمات اعود الى اثباتها في غير هذا المقام اذا نازعني فيها منازع ولم يتصرم مني حبل الحياة

فاعلم ان الذين يتدبرون العالم مقسومون في نظرهم الى كائناته قسمين قسمًا يقول ان كلّ ما في الكون من الموجودات مظاهر قائمة بقوةٍ فائتة لها سائقة عليها سائسة للعقلاء منها على سننٍ معينة. وقسمًا يعتقد ان هنالك الموجودات قائمة بذاتها بلا قوةٍ فائتة وراءها. فانا انتمي الى الفريق الاول لاسباب لا اتعرض لذكرها الآن وعندي ان كل ما في هذا الكون معتمد على تلك القوة الفائتة قائم بها وان نواميس الكون انما هي الروابط التي يربط بها الخالق مخلوقاته بالزمان والمكان والحس. ولهذه النواميس او الروابط ترى ان الانسان لا يقدر ان يكون في اماكن متعددة في وقت واحد ولا ان يقطع غير شقةٍ معينة من المكان في حصة معينة من الزمان ولا ان يشعر و يفتكر الاّ شعورات وافكارًا معدودة في ازمنة محدودة. ولا يمكن لمخلوقٍ ان يتصور مخلوقًا عاقلاً من المخلوقات الممكن وجودها في هذا الكون الاّ مقيدًا بقيدٍ او اكثر من هذه القيود الثلثة ولا فرق في ذلك سواء كان العاقل من ادنى رتب العقلاء او من اعلى رتب الملائكة فالكل لا يمكن تصورهم

للعيشة وانسب للبقاء يتغلب على غيره وكذلك نسله اذا كانت صفاته كصفاته حتى انه على توالي الازمان يبيد ما كان ضعيف القوة قليل المناسبة للعيشة واخلاف النسل ولا يبقى الاّ الاقوى والانسب. ولذلك يعرف هذا الناموس ببقاء الانسب ايضًا. فجد عليه كلامًا مفصلاً في المقالة التي عنوانها المذهب الداروني وجه ٦٥ من المجلد السابع من المقتطف

الاّ مقيدين بقيد من هذه الثلثة

وهنا مندوحة للماديين للنزال والمطاعنة فقد حاول زعماؤهم ان يحجوا الخصم بقولهم لقد أصبت بما قلته من ان العقل لا يُتصوَّر الاّ مقيدًا بقيدٍ ما وذلك بقيد سبق رأينا انه لا يكون الاّ مرتبطًا بالمادة على وجهٍ من الوجوه. فنحن نوافق على ان العقل لا يوجد بلا مادةٍ ولكن نقول ان المادة قد توجد بلا عقلٍ كالخشبة والحديدة مثلاً (٣). فالعلاقة بين العقل والمادة تقتضي ان لا يكون العقل الاّ مقترنًا بالمادة واما المادة فقد تكون غير مقترنة بالعقل. فكل عقل مقترن بمادةٍ ولا يعكس. وعليهِ فحقيقة وجود المادة اثبت من حقيقة وجود العقل (٤). والاّ فمن يستطيع ان يتصور جوهرًا من جواهر المادة يغيب من هذا الكون ساعة او ساعات ثم يعود اليهِ اما العقل فكثيرًا ما يغيب مثل هذه الغيبة ثم يعود كما يشاهد في الذي يغمى عليهِ مثلاً او الذي يقع عليهِ سبات عميق فان وجدانهُ يغيب طول مدة السبات والاغماء ثم يظهر عند انقضائها. نعم اننا لا ننكر ان الوجدان في الانسان ممتاز عن المادة وعن صفاتها المقرَّرة لها في علم الطبيعيات فلا يصح ان يسمَّى مادة ولا ان يعد صفةً من صفات المادة المعروفة ولكن ذلك لا يقتضي انهُ يكون شيئًا موجودًا في ذاتهِ مستقلاً في صفاتهِ بل قد يحصل في رأينا عن ترتُّب دقائق المادة واهتزازها. اذ ما المانع انهُ يحصل من ترتب جواهر الفسفور والكربون والهيدروجين والاكسجين وغيرها مما يتألف الدماغ منهُ ترتُّبًا مخصوصًا في اشكالٍ واوضاعٍ معينة بمقتضى القوى الملازمة لها ومن اهتزاز تلك الجواهر على اساليب مخصوصة كما تحصل الحرارة من اهتزاز جواهر المادة اهتزازًا معينًا والنور من اهتزازها اهتزازًا آخر وغيرهما من القوى الطبيعية من اهتزازها على اشكال أُخرى ايضًا. ثم اذا سلمنا ان الوجدان يحصل من ترتُّب جواهر تلك العناصر واهتزازها على ما تقدم فلا اسهل من ايضاح ظهورهِ واختفائهِ لانهُ يبقى ظاهرًا ما دامت الجواهر مرتبة ذلك الترتيب ومهتزة ذلك الاهتزاز ولكن متى تغير ترتيبها واهتزازها بطل الوجدان ولم يبقَ لهُ اثر. فليس للوجدان وجود في ذاتهِ ولكنهُ يظهر ويغيب بحسب اختلاف وضع جواهر المادة وتفاوت حركاتها (٤). فالمادة هي الدائمة الوجود واما الوجدان فحالة عارضة لها يكون تارةً ولا يكون أُخرى

(٣) ان جماعةً من العلماء يعتبرون كل المواد حيَّة فالجماد وغير الجماد حي عندهم. الا ان كلامنا ههنا عن الوجدان الشخصي الذي يدرك كل انسان وجودهُ ووجود غيرهِ ولذلك لا يدخل اعتبارهم هذا في كلامنا فلم نتعرَّض لهُ الآن

(٣) سيأتي معنا ان نصف كائنات العالم الطبيعي ونعني بها صوَر النوع على انواعها لا يمكن ان توجد الاّ مقترنةً بالمادة

(٤) تجد تفصيل هذا القول في المجلد الخامس من المقتطف في مقالةٍ عنوانها امادَّة النفس ام جوهر مجرَّد

كذا يقولون واقول ردًّا عليهم ان ناظر هذا الكون قد دبّر ان بعض الامور يؤدي التأثير الى كثيرين في وقت واحد وبعضها لا يؤديه الاّ الى واحد. فالبعض الاوّل خاصّ بالاشياء الموجودة في الخارج والبعض الآخر خاصّ بالمتأثر نفسه. مثال ذلك اني اتأثر من ألم في راسي واتأثر من حر الشمس فالتأثير الاول حاصل في دماغي وهو خاص بي وملازم لي لا يشاركني فيه غيري ولا يفارقني في قيامي وقعودي والتاثير الثاني شائع بيني وبين غيري وانما يختصّ بي بعد وصوله الى دماغي. وفي العالم جواهر مادية تصلح لنقل كل من هذين التأثيرين وجواهر أخرى لا تصلح الاّ لنقل واحد منهما. فجواهر الذهب والفضة لا تصلح الاّ لنقل التاثير العام ولذلك لا توجد في الدماغ واما التصنور فيصلح لنقل التأثير العام والتأثير الخاص ايضًا. فاذا احرقنا قطعةً منه امام جمهور انارت واثّر نورها في كل الذين ينظرون اليها فهو هنا ناقل للتأثير العام بخلاف التصنور الذي في الدماغ فانهُ ينقل التاثير الخاص. وبين التصنور الناقل التاثير العام في الخارج والتصنور الناقل للتاثير الخاص في الدماغ اختلاف عظيم من هذا القبيل فالاوّل يمكن اجراء التجارب فيه والبحث عن صفاتهِ واما الثاني فلا يمكن فيه ذلك حتى يصحّ ان يحكم على ماهيتهِ وصفاتهِ. فالذين يدّعون انهُ هو وغيرهُ من العناصر التي يقترن الوجدان بوضعها واهتزازها في الدماغ لا تختلف اختلافًا جوهريًّا عن العناصر التي من نوعها خارج الدماغ انما يدّعون دعوى بلا دليل يؤيدها ولا اساس علمي تبنى عليهِ. اذ لا يصحّ ان نتخذ العناصر الناقلة للتأثير العام في الخارج مثالاً نحكم بهِ على العناصر الناقلة للتأثير الخاص في الدماغ حال كوننا نجهل الحالة التي تكون فيها هذه العناصر عند حدوث الوجدان ومن ادراننا انهُ لا يكون لها حينئذٍ صفاتٌ وخصائص لا تكون لها عند نقلها التاثير العام في الخارج. وعليهِ فلا يصحّ ان نقول ان الدماغ الحيّ مؤلف من جواهر من التصنور والكربون وغيرهما كالجواهر التي نعرفها بالامتحان في كل صفاتها وخصائصها ولا ان الوجدان يحصل من ترتّب هذه الجواهر في اوضاع مخصوصة وتحرّكها بحركات معينة. والاّ فنكون قد حكمنا بما لا يقضي لنا بهِ العلم وادّعينا اننا نعرف عن علاقة الوجدان بجواهر الدماغ ما لم نعرفهُ بدليل ولم تكشفهُ لنا التجارب(٥). واما قولهم ان المادة هي الثابتة الباقية والوجدان عرض يبدو ويزول بدعوى اختفائهِ في الاغماء والسبات والتخدّر بالمخدرات

(٥) ان زعماء الماديين انفسهم يقرّون ان الارتباط المحكم الذي بين العقل والدماغ واعتماد العقل على الدماغ لاظهار مظاهرهِ ليس دليلاً قاطعًا على ان العقل هو الدماغ نفسهُ حتى ان بخنر نفسهُ يقول في كتابهِ (القوة والمادة) ما معناهُ: اننا وان كنا نعجز فاذا درس ان نتصوّر كيفية ارتباط العقل بالدماغ تصورًا جليًّا لكنهُ يسوغ لنا ما تقرّرناهُ ان نقول ان كيفية هذا الارتباط تنقطع في الظاهر بعدم امكان وجود كلٍّ منهما مستقلاً عن الآخر

ونحوها فمنقوض وان اوهم ظاهرهُ الخلاف لان الوجدان اذا اخفق لم يلزم من ذلك انهُ بطل وانتفى لاحتمال انهُ يكمن كمونًا لا يبدو لنا فيهِ مع انهُ لا يزال باقيًا ببقاء المادَّة . وشاهدنا على ذلك اختفاء القوَّة مثلاً في تحوُّل الحركة الظاهرة الى قوَّة بالوضع كما يعرف في علم الطبيعيَّات وكما سبقت معنا في سياق الكلام . وعندي ان كون الوجدان هذا وغيبتهُ في الظاهر يؤيِّدان حجتنا على صحة المعاد والخلود كما سترى ان شاء الله

فتبيَّن لك مما اتيناك بهِ ان العقل والدماغ مرتبطان معًا ارتباطًا شديدًا اخفى امرهُ على العقول وتحجبت ماهيتهُ عن التجارب . والعلماء مجمعون على ان ارتباطهما هذا في غاية الشدَّة والاحكام بحيث لا ينتكر العقل نكرًا الاَّ تهدَّم معهُ جانب من بناء الدماغ ولا يبعد ان كل فكر من افكار العقل يدثر لهُ جزء خصوصي من اجزاء الدماغ لما ان الارتباط بينهما بالغ ادق دقائقهما . ولهذا تعتبر الذاكرة والحافظة آثارًا تبقى على الدماغ للحالة التي كان عليها عند الشعور بالشيء المحفوظ المذكور . فكأن التأثير الذي تتأثرهُ دقائق الدماغ عند الشعور بمؤثر يبقى عليها بعد زوال ذلك المؤثر ويتنقل منها الى غيرها عند انحلالها وحلول غيرها محلها بحيث تبقى صالحة لاحضار ذلك التأثير امام الذاكرة عند تذكرهِ[٦] . ثم انهُ يشترط في كل كائن متصل الوجود ان يكون لهُ اتصال بالماضي وقد تقدم ان كل مخلوق عاقل روحًا كان او غير روح لا يتصوَّر وجودهُ الاَّ محدودًا وبعبارة اخرى لا يكون الاَّ متحيزًا في جسم او شبه جسم مهما كان شكلهُ وماهيتهُ . ولما كان اتصال وجودهِ يقتضي ان يكون لهُ اتصال بالماضي فواضح ان هذا الاتصال انما يكون بواسطة عضو او شبه عضو مهما كان شكلهُ وتركيبهُ . اعني ان كل عاقل مخلوق في الكون من اسمى الملائكة الى ادنى الحيوانات المدركة لا بدَّ ان يكون لهُ عضوٌ او اداة او آلة مهما كان شكلها وتركيبها لحفظ ما مرَّ بهِ في الماضي

وكما يشترط في وجود الحي العاقل المتأول اتصالهُ بالماضي يشترط فيهِ ايضًا اقتدارهُ على العمل في الحال . اعني ان الحي يجب ان يكون قادرًا في جسمهِ على عمل اعمال متعددة اذ لا يُتصوَّر وجود الحياة فيهِ بلا حركة او بحركة على نهج واحد . لا اقول ان الجسم الحي العاقل يجب ان يكون متحركًا على الدوام بل ان تكون الحركة مقدورة لهُ ولا ان يكون متحركًا على الدوام بل ان يكون الفكر مقدورًا لهُ

(٦) انما نذكر هذا البحث وغيرهُ بما يناسب المقام من الاجمال والايجاز ولم نتكلف التطويل في الشرح اكتفاء بالاشارة الى الاماكن التي استوفينا فيها شرح هذه المباحث فاذا اردت تمام الايضاح عن الذاكرة فراجع المقالات التي عنوانها محاضرة في الذاكرة في المجلد الثامن من المقتطف

فللحي المدرك شرطان لازمان احدهما ان يكون له عضو يصل بينهُ وبين الماضي والآخر ان يكون له جسم او هيكل ما في كون يقدر فيه على عمل اعمال مختلفة في الحال . وعلى هذين الشرطين مدار معظم برهاني فاحفظهما

والخلاصة ان ما يقولهُ الماديون من ان النفس هي الدماغ لا يؤيدهُ العلم وان وجود العاقل لهُ شرطان حفظ الماضي بعضو او شبهه والاقتدار على عمل اعمال مختلفة في الحال بجسم يمكنهُ من ذلك وفي كون يصلح لهُ

سكَّر جديد

زعم المتقدمون ان الكيمياء تحوّل النحاس الى ذهب فافسد المتأخرون هذا الزعم ولكنهم بينوا اقتدار الكيمياء على اكثر من ذلك. فان الفحم وهو من اتفه الموجودات منظرًا واظلمها صورة واقلها طعمًا وارخصها ثمنًا قد استخرج الكيماويون منهُ الغاز الساطع النور والالوان البديعة المنظر وانواع العقاقير الطبية الغالية الاثمان . فالايلين على اختلاف انواعهِ والنفتة والكينا والكوكايين كلها من محصلات الفحم الحجري وهذا مركب جديد اكتشفهُ الدكتور فهلبرج في قطران الفحم الحجري يُسمى معهُ سكر القصب وعسل النحل فانهُ اشد حلاوة من سكر القصب بنحو مئتين وثلاثين مرة اي انهُ اذا حلّى الدرهم من سكر القصب اوقية من الماء الى درجة معلومة فالدرهم من هذا المركب يحلي مئتين وثلاثين اوقية من الماء الى تلك الدرجة . وقد وجدوا انهُ اذا اضيف درهم منهُ الى الف درهم من سكر العنب الذي يستخلص من النشاء والخشب صارت حلاوتهُ كحلاوة سكر القصب تمامًا . وهذا السكر ابيض اللون يتبلور بلورات منشورية الشكل لا تذوب بسهولة في الماء البارد بل تذوب في الماء الحار وفي الايثير والا لكحول . وهو مضاد للفساد قليلاً ولا يتحلل في جسم الانسان ولذلك يمكن استعمالهُ حيث لا يمكن استعمال سكر القصب . وثمن الرطل المصري منهُ الان خمسون قرشًا وهو ثمن فاحش ولكنهُ ارخص من سكر القصب لانهُ احلى منهُ بمئتين وثلاثين مرة كما تقدم ولا بدَّ من ان يرخص كثيرًا عندما يشيع استعمالهُ . وقد اطلقوا عليهِ اسم السكرين . واسمهُ العلمي بنزويل سلفريك اميد . فاذا شاع استعمالهُ وهو المظنون اثّر تأثيرًا شديدًا في زراعة القصب وتجارة السكر